منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهومي المطلق والنسبي في الإلهيات من خلال كتابه :

" مقدمة في علم الكلام الجديد " .

The Approach of Dr. Abdul Jabbar al-Rifa'i's Approach to the Absolute and the Relative in Theology, as Presented in His Book:

" Introduction in Science the Kalam the New ".

الباحث : محمود عبد عزيز حسن

Mahmood A . Aziz Hassan .

mahmood.٢٤isp٤٩@student.uomosul.edu.iq

أ . د . غزوان صالح حسن .

dr.ghzawan@uomosul.edu.iq

ملخص البحث :

تعد الإلهيات من أهم الموضوعات في علم الكلام الجديد , إذ تتناول ما يتعلق بالله الخالق بوصفه مُطلَقا ، ويُعد الدكتور عبد الجبار الرفاعي من بين العلماء الذين تناولوا مفهوم المطلق الإلهي من خلال منهج يجمع بين العقلانية والنص الإلهي , مما جعل منهجه منهجاً متكاملاً جامعاً بين الاستدلال النصي والتنزيه العقلي .

الكلمات المفتاحية : عبد الجبار الرفاعي , مقدمة , علم الكلام الجديد , الإلهيات , منهج .

Abstract :

topic Theology is considered one of the most important topics in Science the Kalam the contemporary Islamic, and it deals with issues relating to God as the absolute , and Dr . Abdul Jabbar Al-Rifai is among the scholars who have addressed the concept of the Divine Absolute (the Absolute) through an approach that combines rational Agreed with text divine , This made his approach an integrated approach that combined textual reasoning and with rational transcendence .

المقدمة

الحمد لله , والصلاة والسلام على رسولِه المصطفى مُحمَّد صلوات ربي عليه وعلى آلهِ وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، أما بعد :

تعد الألفاظ والمصطلحات التي يتم التعبير بها عن الله تعالى من القضايا المهمة في مباحث العقيدة الإسلامية , وقد أنشغل علماء المسلمين قديماً وحديثاً بهذا الموضوع أيَّما انشغال , وفي هذا البحث ارتأيت أن أتناول منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهوم المطلق والنسبي , لكونه من العلماء الذين تناولوا هذا المفهوم حديثاً واستعملوه في الحديث عن الله تعالى , وعليه يسعى هذا البحث إلى بيان مراد الدكتور عبد الجبار الرفاعي من إطلاق لفظ المطلق على الله تعالى وبيان الفرق بينه وبين النسبي .

أسباب اختيار الموضوع :

أخترت هذا الموضوع لبيان إشكالية مفهومي المطلق والنسبي , وللوقوف على منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في هذا الموضوع , ولمعالجة النقص في الدراسات المتخصصة بهذا المجال .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية دراسة منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهوم المطلق والنسبي في عدة نقاط :

أولاً : لم يُسجل حتى الآن دراسات متخصصة تناولت منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهوم المطلق والنسبي بشكل مباشر ، وهذا الفراغ البحثي يبرز أهمية الدراسة ، مما يجعل البحث إضافة جديدة ومهمة للمكتبة العلمية .

ثانياً : توضيح الفروق بين المفاهيم الفلسفية والعقدية ، إذ يسهم البحث في تفكيك المصطلحات وإظهار حدود استعمالها ، مما يقلل الخلط بين المفهوم الفلسفي المقصود والمفهوم العقدي المرتبط بالله والإنسان.

ثالثاً : تسليط الضوء على موقف مفكر معاصر مهم ، وهو الدكتور عبد الجبار الرفاعي ، وبيان منهجه في التعامل مع القضايا العقدية والفكرية ، بما يعزز فهم الباحثين للقضايا العقدية بأسلوب علمي منهجي .

رابعاً : تقديم قاعدة علمية للباحثين تمكنهم من الاستفادة من دراسة المصطلحات الدقيقة في قضايا العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر .

ثانيًا : أهداف البحث :

يهدف البحث إلى :

تحديد المنهج الذي اتبعه الدكتور عبد الجبار الرفاعي في تناول مفهوم المطلق والنسبي .

مشكلة البحث :

تستند مشكلة البحث على قلة الدراسات وعدم وجود دراسة خاصة بمنهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهوم النسبي والمطلق , مما يترك فجوة علمية في تحليل الألفاظ والمصطلحات الفلسفية والعقدية , وعدم التمييز بين الخلاف الاصطلاحي والخلاف المقصدي .

الدراسات السابقة :لم تتعرض الدراسات السابقة إلى منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهوم المطلق والنسبي , مما يمنح هذا البحث قيمة علمية مضافة لتحليل الألفاظ والأفكار الوافدة إلى الفكر الإسلامي وبيان حدود استعمالها .

منهج البحث :

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي للإحاطة بمفهوم المطلق والنسبي ، وتم اختيار منهج البحث المقارن لكونه منهج يسلك سُبُل المقارنة فيما يخص مفهوم المطلق والنسبي في موضوع الإلهيات ، كما تم اختيار المنهج التحليلي لتحليل ما تم الحصول عليه من معلومات لتسهيل عملية الدراسة , واللجوء إلى المنهج التفكيكي لتفكيك المقولات الكلامية في علم الكلام القديم لفهم على ماذا يستند أربابها في كلامهم عن مفهومي المطلق والنسبي ، وإلى جانب ما ذكرت من مناهج ، يتبقى ذكر المنهج الوصفي لكونه منهج يعرض المعلومة كما أوردها أصحابها في كتبهم دون التعرض إليها بردٍ أو نقض .

منهجية البحث :

اعتمد هذا البحث منهجية علمية منسجمة مع طبيعة موضوعه ، ومعتمدة على عدد من الأسس العلمية في جمع وتوثيق المادة العلمية الخاصة بموضوع البحث ، وهذه الأسس هي :

أولاً : جعل الآيات القرآنية برسم مصحف المدينة ، ووضعها بين قوسين مزهرين : ﴿ ﴾ ، وعزوها إلى مواضعها في المصحف الشريف بذكر اسم السورة ، ورقم الآية .

ثانياً : رد الأقوال إلى قائليها ، وذلك بوضع النص المقتبس بين علامتي تنصيص : " " , وما تم التصرف فيه أو ذكر معناه تم الإشارة إلية بكلمة : (ينظر) في الحواشي السفلية للرسالة .

ثالثاً : ترجمة الأعلام والشخصيات والمذاهب والحركات بشكل مختصر ، وعدم إفراد ترجمة لبعضِ الشخصيات بسبب شهرته الغنية عن التعريف , كما لم نترجم لبعض الفرق والحركات والمذاهب لكونها معروفة .

رابعاً : تعريف الكلمات الغريبة من مظانها .

خامساً : أمَّا المنهجية المتبعة في كتابة الهامش فتمثلت في الاكتفاء بكتابة اسم الكتاب ، ثم كتابة اسم المؤلف وتقديمه أحياناً على اسمِ كنيته التي يعرف بها ، أو على لقبه الشخصي الذي يعرف به ، وأحياناً العكس ، أو تقديم اللقب العلمي للمؤلف على اسمه واسم شهرته ، أو حسب ما مكتوب ، أو مُرتَب في أغلفة الكتب ، ثم كتابة رقم الجزء أو المجلد ، ثم كتابة رقم الصفحة , وكتابة بطاقة المصدر كاملة في قائمة المصادر والمراجع نهاية الرسالة .

سادساً : ترتيب المصادر والمراجع حسب التسلسل الهجائي للأحرف العربية .

سابعاً : عند الاقتباس من كتاب منشور بطبعتين فيهما تفاوت في المحتوى أو زيادة واختلاف ؛ يتم الإشارة إلى الطبعة المعتمدة في كل موضع عبر ذكر دار النشر ، أو المؤسسة الناشرة لكل طبعة دفعاً للالتباس .

ثامناً : المختصرات الواردة في الحواشي السفلية للبحث :

دكتور	**. د.**
أستاذ دكتور	**أ. د.**
.ت	**. تاريخ**
.هـ	**هجري**
م	**ميلادي**
مج	**مجلد**
ج	**جزء**
ص	**صفحة**
د. ط	**دون طبعة**
. د. ت	**دون تاريخ**
د. م	**دون مكان**

خطة البحث : اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى : مقدمة ومبحثين تتلوهما خاتمة تضم أهم النتائج والتوصيات ومن ثم لائحة المصادر والمراجع , والخطة كالآتي :

المقدمة .

المبحث التمهيدي : مدخل للتعريف بالدكتور عبد الجبار الرفاعي .

المبحث الأول : منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في الإلهيات .

المطلب الأول : تعريف المنهج لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهومي المطلق والنسبي .

الخاتمة ونتائج البحث .

التوصيات .

المصادر والمراجع .

المبحث التمهيدي :

مدخل للتعريف بالدكتور عبد الجبار الرفاعي :

اسمه : عبد الجبار القحطاني , ولقبه الرفاعي [١] ، ويُنسب من ناحية المكان إلى قضاء الرفاعي في محافظةِ ذي قار الواقعة جنوب العراق , حيث يقترن اسمه باسمِ هذا القضاء , وأما نَسَبُ عائلته كما يخبرنا في كتابه : (الدين والظمأ الأنطولوجي) وحسب الرواية الشفاهية المنقولة إليه , يعود إلى قبيلةِ : (قحطان) في الجزيرةِ العربية ، حيث يمتهن أهل هذه القبيلة الرعي وتربية الجمال [٢] .

أما عن ولادته , فقد وُلِدَ الدكتور عبد الجبار الرفاعي في عام : (١٣٧٥هـ) [٣] ، اليوم الأول من شهرِ تموز – يوليو – من سنة : (١٩٥٤م) , وذلك حسبما يفيد سجل النفوس المدون عام : (١٩٥٧م) , وهو تاريخ لا يمكن التأكُّد منه وتوكيده بالنسبة للدكتور عبد الجبار الرفاعي ؛ والسبب في ذلك أن أهل الريف يومذاك لم يدركوا بعد طريق الكتابة ، وما يعتمدون عليه يكون بالعادة تقويم محلي وعائلي وشخصي ، حيث تتحدد السنوات في ضوء هذا التقويم طبقًا لما يحدث فيها من فيضاناتٍ أو أمراض معدية ، أو مجاعات ، أو نكبات عائلية ، أو زراعة وحصاد محاصيل نوعية كما يرى الدكتور

---

[١] ينظر : محاضرات في أصول الفقه شرح الحلقة الثانية للإمام الشهيد السيد : محمد باقر الصدر, د. عبد الجبار الرفاعي , ج : ١ , ص : ١٠ .

[٢] ينظر : الدين والظمأ الأنطولوجي , د. عبد الجبار الرفاعي , طبعة : مركز دراسات فلسفة الدين ببغداد , ص : ٤٥

[٣] ينظر : تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية ، د. عبد الجبار الرفاعي ، ص : ٢٠٧ .

عبد الجبار الرفاعي [١] ؛ ولهذا لا يعرف أهل القرية التاريخ الدقيق لولادةِ أبنائهم ، ولم تكن في ذلك الوقت تصدر شهادات ميلاد . أما عن مكان الولادة
فهو في قرية تدعى : " آل حواس " [٢] .

أما فيما يخص الحياة العلمية : أتم الدكتور عبد الجبار الرفاعي تعليمه الأساس في مدرسة المتنبي ثم باشر دراسته في التعليم الثانوي بمدرسة متوسطة واقعة بمدينة : (قلعة سكر) , جنوب العراق , وبعد إتمامه الدراسة المتوسطة , إنتقل إلى مدينة الشطرة جنوب العراق [٣] , لإتمام الدراسة الإعدادية [٤] ، ثم حاز الدكتور عبد الجبار الرفاعي فيما بعد على مجموعة من الشهادات العلمية ، من ضمنها دبلوم في تخصص الإنتاج الحيواني من المعهد الزراعي الفني في منطقة أبو غريب في بغداد سنة : (١٩٧٣م) , بكالوريوس المعارف الإسلامية بتقدير : إمتياز عام : (١٩٨٨م) ، ماجستير في علمِ الكلام بتقدير : إمتياز عام : (١٩٩٠م) ، دكتوراه
في الفلسفة الإسلامية من جامعة المصطفى العالمية عام : (٢٠٠٥م) , ثم حاز بعد ذلك على الألقاب العلمية ، ونال الاستاذية عام : ٢٠١٢م [٥] , وبالإضافة إلى دراسته الأكاديمية درس في الحوزة

---

[١] ينظر : الدين والظمأ الأنطولوجي , د. عبد الجبار الرفاعي , طبعة : مركز دراسات فلسفة الدين ببغداد , ص : ٤٤

[٢] **آل حواس** : قرية صغيرة ، لا يتعدى عدد العوائل التي تقطن فيها العشرين عائلة , حيث ترتبط هذه القرية إدارياً بقضاءِ الرفاعي في محافظةِ ذي قار جنوب العراق ، وتقع على بعدِ ٢ كم تقريبا ، جنوب تل أثري سومري قديم ، يُعرف محليًا باسمِ : (أم الطحيم) حيث لم تدركه التنقيبات الأثرية حتى يومنا هذا . ينظر : الدين والظمأ الأنطولوجي , د. عبد الجبار الرفاعي , طبعة : مركز دراسات فلسفة الدين ببغداد , ص : ٤٤ – ٤٥ .

[٣] ينظر : الدين والظمأ الأنطولوجي , د. عبد الجبار الرفاعي , طبعة : مؤسسة هنداوي , ص : ٦٥ , ص : ٦٧ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه , ص : ٦٥ , ص : ٦٧ .

[٥] ينظر : السيرة الفكرية للأستاذ الدكتور عبد الجبار الرفاعي , مُلَخَّص زودني به الدكتور عبد الجبار الرفاعي في : ١٦ / ٨ / ٢٠٢٥م , وهذه السيرة هي جواب لحوار مع الدكتور عبد الجبار الرفاعي ، بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٢٩م . مع العلم أن هذه السيرة غير منشورة على مواقع الأنترنت , ص : ٢ – ٣ .

العلمية أيضاً عند شيوخ معمّرون ، أثقلت رؤوسهم العمائم السّود والبيض ، وأطالوا المقام في الظّلال ، وتلقى عنهم الدكتور عبد الجبار الرفاعي أصول الفقه ، وعلم الكلام ، والعقائد [١] .

المبحث الأول :

منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في الإلهيات :

المطلب الأول :

التعريف بالمنهج لغة واصطلاحاً

مفهوم المنهج في معاجم اللغة العربية :

المَنْهَجُ : هو الطريق الواضح ، وكذلك النَهْجُ أو المِنْهاجُ أو : " الشرعة " , أو : المأخذ " , **ويقال** : أَنْهَجَ الطريقُ ، أي : استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيِّناً [٢] .

والمنهج هو : " الطريق المنهوج ؛ أي : المسلوك " [٣] .

وقيل : " فلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ , أَي : يَسلُكُ مَسلَكَه " [٤] .

ويقول تعالى : لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ [٥] .

والمنهاج هنا يعني : " الطريق المحدد الواضح لمعرفة دين الله " [٦] .

مفهوم المنهج اِصطلاحاً :

---

[١] ينظر : كتاب المقالات , د. عبدالله إبراهيم , ص : ٤٨٧ .

[٢] ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية , أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي , ج : ١ , ص : ٣٤٦ . وينظر أيضاً : معجم الفروق اللغوية ، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءًا من كتاب : (فروق اللغات) , نور الدين بن نعمة الله الجزائري , ص : ٢٩٨ .
وينظر أيضا : تكملة المعاجم العربية , رينهارت بيتر آن دُوزِي , ج : ١ , ص : ٩١

[٣] التوقيف على مهمات التعاريف , عبد الرؤوف بن المناوي , ص : ٣١٧ .

[٤] لسان العرب , محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى , ج : ٢ , ص : ٣٨٣ .

[٥] سورة : المائدة , الآية : ٤٨ .

[٦] البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية , رجاء وحيد دويدري , ص : ١٢٧ .

منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهومي المطلق والنسبي في الإلهيات من خلال كتابه : " مقدمة في علم الكلام الجديد " .

الباحث : محمود عبد عزيز حسن

أ . د . غزوان صالح حسن

لقد نشأت فكرة المنهج بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم ابتداء من القرن السابع عشر [١] , لكن ما يذكر أن فكرة المنهج كانت موجودة منذ أيام الإمام الشافعي رحمة الله عليه ؛ وذلك إن الإمام الشافعي كان يتنقل بين حواضر الإسلام الثلاثة : مكة والمدينة والعراق ، وقد نهل من علوم أعلامها وأدرك وجوه اختلافهم ومناهج استنباطهم واجتهادهم ثم نظر فيما تحصل لديه من العلوم ، فوجد كل حاضرة من الحواضر الإسلامية تتبع إمامها وتقلده ثم تدافع عنه بالدليل وغير الدليل , وقد كان التقليد لفقه البلدان أول شرخ حدث في بنيان المنهج الإسلامي الخالص ، فأتى الشافعي ليجدد هذا المنهج في رأس المائة الثانية ، فاستنبط علم أصول الفقه وطبق قواعده القطعية المتفق عليها في العصر الأول على جزئيات الأحكام ، وهكذا وجدت مصنفات الشافعي الأصولية والفقهية [٢] , ثم أصبح لاحقاً معنى اصطلاح المنهج كما هو مُعَرَّف عِند أبي منصور الماتريدي [٣] وغيره : " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة " [٤] , كما وهو الاستقامة , ومنه : اسْتِقَامَةُ

---

[١] ينظر : أصول البحث العلمي ومناهجه , د. : أحمد بدر , ص : ٣٣ – ٣٤ .

[٢] ينظر : المختصر من علم الشافعي ومن معنى قوله , أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت : ٢٦٤ هـ) , ص : ٨ .

[٣] **الماتريدي** : هو محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي ، السمرقندي ، من أهل : (ماتريد) محلة بسمرقند فيما وراء النهر, وإليه نسبة الماتريدية ، لم يُعرَف تاريخ ولادته على وجه التحديد , لكن المتفق عليه عند المترجمون أنه توفي في سمرقند سنة : (٣٣٣ هـ) , ومن تصانيفه المعروفة : (تأويلات اهل السنة) , (شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة) . معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر) , عادل نويهض , ج : ٢ , ص : ٦١١ . هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين , إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلا ، البغدادي , ج : ٢ , ص : ٣٦ – ٣٧ . ينظر : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي , ج : ٧ , ص : ١٩ .

[٤] تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) , محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي , ج : ١ , ص : ٣١٥ .

الإنسان , أي : لزومه المنهج المستقيم [١] , وَيُقَال : " لكل عدُول عَن الْمنْهَج ضلال , والضلال : هُوَ فِي مُقَابلَة الْهدى " [٢] .

وَيُعَرَّف المنهج في الاِصطلاحِ أيضاً : بالبرنامج الذي يُعَيّنُ لنا خارطة الوصول إلى الحقيقة , أو السبيل المؤدية إلى كشفِ حقيقةِ العلوم [٣] .

وقيل في تعريف المنهج العلمي : بأنه الوسيلة التي تمكن الباحث من الوصول إلى الحقيقة من خلالها [٤] , وقد يتعدد المنهج ويكون هنالك عدة مناهج , على سبيل المثال لا الحصر : " منهج التعلم , منهج القراءة , ومنهج الوصول إلى النتائج المادية كما هو في العلوم العلمية " [٥] , وقد يكون المنهج مرسوماً من قبل بطريقةٍ
تأملية متعمدة , وقد يكون أيضاً نوعاً من السير المألوف للعقل لم تحدد أصوله سابقاً [٦] .

المطلب الثاني :

منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهوم المطلق والنسبي .

لقد شاع استعمال ثنائية : (المُطَلق والنسبي) في الفكر الكلامي والفلسفي المعاصر للتفريق بين حقيقة الله تعالى وحقيقة الإنسان , وقد ورد لفظ : (المطلق) بمعاجمِ اللغة والاصطلاح **وقيل : أن المُطَلق لغة** : " اسمُ مَفعولٍ مَن أُطلِق ، وأصلُ (طلق) يدلُّ على التَّخلية والإرسال , وأن الطاء

---

[١] ينظر : المفردات في غريب القرآن , أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى , ص : ٦٩٢ .

[٢] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي , ص : ٥٧٦ .

[٣] ينظر : مناهج البحث العلمي , عبد الرحمن بدوي , ص : ٦ .

[٤] ينظر : الكتابة الأكاديمية (ضوابط الأداء , إجراءآت التحسين , معايير الجودة) , د. محمود جلال الدين سليمان , ص : ٩٥ .

[٥] موسوعة كتب علم النفس الحديث (مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث) , د. عبد الفتاح محمد العيسوي, د. عبد الرحمن محمد العيسوي , ص : ٨١ .

[٦] ينظر : موسوعة كتب علم النفس الحديث (مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث) , د. عبد الفتاح الفتاح محمد العيسوي, د. عبد الرحمن محمد العيسوي , ص : ٧٩ .

واللام والقاف أصلٌ صحيحٌ مطّرد واحد " [١] , **كما قيل في تعريف المطلق في اللغة :** " ما كان بلا قيد ولا وثاق " [٢] .

أما المطلق اصطلاحاً فهو : " ما لا يتوقف إدراكه على غيره ويقابل المضاف " [٣] .

أو كما ورد تعريفه في المعجم الفلسفي بمعنى : " (التام أو الكامل) المتعري عن كلِ قيدٍ , أو حصرٍ , أو استثناء , أو شرط ، والخالص من كلِ تعيُّن أو تحديد الموجود في ذاته وبذاته ، واجب الوجود المتجاوز للزمان والمكان حتى إن تجلى فيهما " [٤] ؛ وبناء على ما سبق تم وصف الإله الواحد المتجاوز بأنه : (المُطلَق) , المُختَلِف عن النسبي الذي ينُسَب إلى غيره ويتوقف وجوده عليه ولا يتعيَّن إلا مقروناً به ، كما وهو مقيد وناقص ومحدود مرتبط بالزمان والمكان ؛ يتلون بهما ويتغيَّر بتغيرهما ، ولذا فالنسبي ليس بعالمي [٥] .

بعد بيان معنى المطلق وتعريفه , يجدر التنبيه إلى أن بيان معنى النسبي لغةً واصطلاحاً وجدت صعوبةً فيه ؛ لكون الحديث عن النسبي من الأمور المستجدة ، لذلك لم أعثر في الكتب القديمة الخاصة باللغة خاصةً على ما يتحدث عن موضوع النسبي .

لكن في موضوع أقسام الاسم , " الاسم إما أن يؤخذ من الذات , أو من جزئها , أو من وصفها الخارجي , أو من الفعل , ثم ننظر أيُّها يمكن في حق الله تعالى , أما المأخوذ من

---

[١] معجم مقاييس اللغة , أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا , ج : ٣ , ص : ٤٢٠ .

[٢] المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، ص : ١٨٥ .

[٣] المصدر نفسه ، ص : ١٨٦ .

[٤] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبد الوهاب المسيري ، ج : ١ ، ص : ٥٩ .

[٥] المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية , ص : ٢٠٠ . ينظر : المسيري عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية , ج : ١ ، ص : ٥٩ .

الـذات ففـرع تَعَقُّلِهـا , أمـا المـأخوذ مـن الجـزء فمحـال عليـه لأن الوجـوب الـذاتي ينـافي التركيـب , وأما المأخوذ من الوصف الخارجي فجائز " [١] .

يقول الجرجاني [٢] :

" أمَّـا المَـأخُوذُ مِـنَ الـذَّاتِ فَفَـرعُ تَعَقُّلِهـا , فَمَـنْ ذَهَـبَ إلـى جَـوازِ تُعقَـل ذَاتِـهِ جَـوَّز أنْ يَكُـونَ لَـهُ اسمٌ بـإزَاءِ حَقِيْقَتِـهِ المَخصُوصَـةُ ، وَمَـنْ ذَهَـبَ إِلَـى امْتِنَـاعِ تَعَقُّلِهَـا لَـمْ يُجَـوِّزِ اسْـمًا مَـأْخُوذًا مِـنْ ذَاتِـهِ؛ لِأَنَّ وَضْـعَ الْاسْـمِ لِمَعْنًـى فَـرْعُ تَعَقُّلِـهِ وَوَسِـيلَةٌ إِلَـى تَفْهِيمِـهِ ، فَـإِذَا لَـمْ يُمْكِـنْ أَنْ يُعْقَـلَ وَيُفْهَـمَ فَـلَا يُتَصَـوَّرُ بِإِزَائِـهِ ، وَفِيـهِ بَحْـثٌ ؛ لِأَنَّ الْخِـلَافَ فِـي تَعَقُّـلِ كُنْـهِ ذَاتِـهِ ، وَوَضْـعُ الْاسْـمِ لَا يَتَوَقَّـفُ عَلَيْـهِ ؛ إِذْ يَجُـوزُ أَنْ يُعْقَـلَ ذَاتُ شَـيْءٍ بِوَجْـهٍ مِـنْ وُجُوهِـهِ وَيُوضَـعَ الْاسْـمُ لِخُصُوصِـيَّتِهِ وَيُقْصَـدَ تَفْهِيمُهَـا بِاعْتِبَـارِ مَـا لَا بِكُنْهِهَـا ، وَيَكُـونَ ذَلِـكَ الْوَجْـهُ مُصَـحِّحًا لِلْوَضْـعِ وَخَارِجًـا عَـنْ مَفْهُـومِ الْاسْـمِ عَلَـى مَـا مَـرَّ مِـنْ أَنَّ لَفْـظَ اللَّهِ اسْـمٌ عَلَـمٌ لَـهُ مَوْضُـوعٌ لِذَاتِـهِ مِـنْ غَيْـرِ اعْتِبَـارِ مَعْنًـى فِيـهِ . (وَأَمَّـا الْمَـأْخُوذُ مِـنَ الْجُـزْءِ) كَالْجِسْـمِ لِلْإِنْسَـانِ مَـثَلًا (فَمُحَـالٌ عَلَيْـهِ تَعَـالَى) ؛ لِمَـا بَيَّنَّـا مِـنْ أَنَّ الْوُجُـوبَ الـذَّاتِيَّ يُنَـافِي التَّرْكِيـبَ (فَـلَا يُتَصَـوَّرُ لِذَاتِـهِ تَعَـالَى جُـزْءٌ حَتَّـى يُطْلَـقَ اسْـمُهُ عَلَيْـهِ) . وَأَمَّـا الْمَـأْخُوذُ مِـنَ الْوَصْـفِ الْخَـارِجِيِّ الـدَّاخِلِ فِـي مَفْهُـومِ الْاسْـمِ (فَجَـائِزٌ) فِـي حَقِّـهِ تَعَـالَى ، (ثُـمَّ هَـذَا الْوَصْـفُ قَـدْ يَكُـونُ حَقِيقِيًّـا) كَـالْعَلِيمِ ، (وَقَـدْ يَكُـونُ إِضَـافِيًّا) كَالْمَاجِـدِ بِمَعْنَـى الْمَعَـالِي، وَيَكُـونُ سَـلْبِيًّا كَالْقُـدُّوسِ ، (وَأَمَّا الْمَأْخُوذُ مِنَ الْفِعْلِ فَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى أَيْضًا) " [٣] .

أن الخلاصة التي يريدها الجرجاني في المَأخُوذُ مِنَ الذَّاتِ فَفَرعُ تَعَقُّلِها والله أعلم :

الاسم لا يشترط أن يكون مبنيًا على إدراك كنه الذات ، بل يكفي إدراك وجهٍ من وجوهها أو خصوصيةٍ منها ، وبذلك يصح وضع الاسم .

---

[١] المواقف في علم الكلام , عضد الله والدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي , ص : ٣٣٣ .

[٢] **الجرجاني** : هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف ، من كبار العلماء بالعربية ، ولد في تاكو قرب استراباد في عام : (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦م) ، ودرس في شيراز وأقام فيها إلى أن توفي في سنة : (٨١٦ هـ / ١٤١٣م) ، وله نحو خمسين مصنفا ، منها : (التعريفات) ، (شرح مواقف الإيجي) ينظر : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي ، ج : ٥ ، ص : ٧ .

[٣] شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي ومعه حاشيتا السَّيالكوتي والچلبي على شرح المواقف ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ج : ٨ ، ص : ٢٣١ – ٢٣٢ .

وبعبارةٍ أخرى :

لا نحتاج في وضع الاسم إلى إدراك كنه الذات ، بل يكفي إدراك وجهٍ من وجوهها أو اعتبارٍ منها ، ويصح عندئذٍ إطلاق الاسم ولو لم تُدرَك الحقيقة الكاملة .

أما عن لفظ : (المطلق) فالمراد به عند المتكلمين والفلاسفةِ المسلمين : نفي التشبيه عن الذات الإلهية ، نفي الحدود ، نفي القيود ، وذلك كأن يكون محتاجاً لغيره ، أو أن يتوقف وجوده على وجود غيره ، أو أن يعرف بكونه جزءًا من علاقة مع مخلوق ، وبهذا نصل إلى اعتبار عقلي سلبي (ليس المراد منه إدراكًا لذات الله ، بل لنوع من (التنزيه) ؛ هذا والله أَعلم .

وبناءً على ما قرره الجرجاني ، لا يشترط في وضع الاسم إدراك كنه الذات ، بل يكفي تَعَقُّلِها من وجهٍ من وجوهها ، وبناءً على ذلك فإن إطلاق لفظ : (المطلق) على الله هو من قبيل الاعتبارات العقلية القائمة على نفي القيود ، لا على إدراك حقيقة الذات الإلهية .

وَبِمَعنًىَ أَدَقَّ :

إنَّ إطلاق الأسماءِ على الله لا يتوقف على إدراك كنه الذات الإلهية ، بل يكفي تَعَقُّل وجهٍ من وجوهها أو اعتبارٍ عقلي ، وبناءً عليه يصح إطلاق الألفاظ الاعتبارية مثل : (المطلق) من جهة نفي التشبيه ، ونفي القيود ، ونفي الحدود عن الذات الإلهية تنزيهاً لها ، وليس من جهة إدراك الذات الإلهية .

أمَّا عن منهج الدكتور عبد الجبار الرفاعي في موضوع المطلق والنسبي فهو المنهج الفلسفي العرفاني حيث يرى : " أنَّ فهْمَ النسبي للمطلق نسبيٌّ ، فهْمُ المحدود للامحدود محدودٌ " [١] ، **ويقول :** " الله مطلقٌ وفهْمُ الإنسان نسبيٌّ ، الله لا محدود وفهْمُ الإنسان محدودٌ " [٢] ؛ ومن خلال هذه الرؤية وهذا القول تتنوع طرق الوصول إلى الله وتعدد , إذ يفسر الدكتور عبد الجبار الرفاعي

---

[١] مقدمة في علم الكلام الجديد ، د . عبد الجبار الرفاعي ، ص : ٨٨ .

[٢] المصدر نفسه ، ص : ٨٨ .

معنى الحيرة في الحق في قول ابن عربي [١] : " الوصول إلى الحَيرة في الحقِّ هو عينُ الوصول إلى الله " [٢] .

ويقـــول : " الحيـــرةُ هنـــا ليســـت بمعنـــى : الارتبـــاك ، والالتِبَـــاس ، والتـــردُّد ، والغُمُـــوض ، والتيه ، والضَّيَاع ، بل هي بمعنى : تنوُّعِ الطرقِ إلى الحق وتعدُّدها " [٣] .

الخلاصة :

أن مصـــطلح المطلـــق والنســـبي مـــن المفـــاهيم والمصـــطلحات الفلســـفية عنـــد الفلاســـفة المسـلمون أمثـال : ابـن سـينا [٤] ، والغزالـي [٥] , وكـذلك عنـد غيـرهم وعنـد الـدكتور عبـد الجبـار

---

[١] **ابن عربي** : هو **محيي الدين بن عربي** : هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي ، والمعروف بابن عربي ، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره ، ولد في شهر رمضان سنة : (ستين وخمسمائة هـ) بمرسية من الأندلس ، قيل : أنه كان ظاهري المذهب في العبارات ، باطني النظر في الاعتقادات . من تصانيفه : (الفتوحات المكية) ، (التدبيرات الإلهية والتنزيلات الموصلية) ، (فصوص الحكم) ، وغيرها من التصانيف ، ذكر أن وفاته صادفت : (الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة هـ) . ينظر : فوات الوفيات ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين ، ج : ٣ ، ص : ٤٣٦ – ٤٣٧ .

[٢] الفُتوحَاتُ المَكيَّة , أبي بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي , في المنازلات , الباب الثلاثون وأربعمائة في معرفة منازلة إن حيرتك أوصلتك إلي , ج : ٧ , ص : ٦٢ .

[٣] مقدمة في علم الكلام الجديد ، د . عبد الجبار الرفاعي ، ص : ٨٨ .

[٤] **ابن سينا** : هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك ، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات ، أصله من بلخ ، ومولده في إحدى قرى بخارى عام : (٣٧٠ هـ / ٩٨٠م) ، نشأ فيها وتعلم ، وطاف البلاد ، وناظر العلماء ، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان ، فمرض في الطريق ومات ، وكانت وفاته في سنة : (٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) . ينظر : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي ، ج : ٢ ، ص : ٢٤١ .

[٥] **الغزالي** : هو زين الدين ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، ولد بطوس عام : (خمسين وَأَرْبَعمِائَة هـ)، ومن كتبه ومصنفاته المشهورة : (الإحياء) ، (القسطاس) ، (محك النظر) ، (التهافت) ، (المستصفى) ، (تهافت الفلاسفة) ، (معيار العلم) ، (المنقذ من الضلال) ، وأما وفاته كَانَت بطوس يَوْم الِاثْنَيْنِ رَابِع عشر جُمَادَى الْآخِرَة سنة (خمس وَخَمْسمِائَة هـ) . ينظر : سير أعلام النبلاء , شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي , ج : ١٩ , ص : ٣٢٢ – ٣٢٣ , ٣٢٨ ،

الرفاعي أيضاً [١] , ذلك أن إطلاق تسمية المطلق عليه تعالى هو للتمييز بين واجب الوجود : (الله) وممكن الوجود : (الإنسان) , كما هو لتنزيه الذات الإلهية عن الإحاطةِ والحدِ , والإقرار بحدود العقل الإنساني وقصوره عن إدراك واجب الوجود الذي : لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ [٢] .

يقول الإمام الغزالي : " فَافْهَم أَن فِي مدركات البصائر تَفَاوتا فَمِنْهَا مَا تحيط الْعُقُول بكنه حَقِيقَته وَمِنْهَا مَا تقصر الْعُقُول عَنهُ وَمَا تقصر الْعُقُول عَنهُ يَنْقَسِم إِلَى مَا يتَصَوَّر أَن يُحِيط بِهِ بعض الْعُقُول وَإِن قصر عَنهُ أَكْثَرهَا وَإِلَى مَا لَا يتَصَوَّر أَن يُحِيط الْعقل أصلا بكنه حَقِيقَته وَذَلِكَ هُوَ الْعَظِيم الْمُطلق الَّذِي جَاوز جَمِيع حُدُود الْعُقُول حَتَّى لَا تتَصَوَّر الْإِحَاطَة بكنهه وَذَلِكَ هُوَ الله تَعَالَى " [٣] , **والذي يصفه الدكتور عبد الجبار الرفاعي بقوله** : " الغنيّ عن الكلِّ ، المكتفي بذاته عن كلِّ شيء سواه , الوجود الحقُّ ، المستغني بذاته عن كلِّ شيء سواه ، هو الله أو الإله أو الربُّ أو الروح الكلّي أو الروح المطلَق أو روح العالَم " [٤] .

كما أن إطلاق مصطلح المطلق يهدف إلى ترسيخ مبدأ التنزيه ونفي التشبيه عن الذات الإلهية , وإطلاق مصطلح النسبي هو للاعتراف بحدود العقل البشري وأن للمعرفة الدينية تاريخ من أجل التواضع وإدراك الإنسان بنسبية معرفته لكي لا يختزل طرق النجاة والخلاص والوصول إلى الله تعالى بطريق واحد ويرفض تعدد طرق الوصول إليه [٥] .

---

٣٣٤ – ٣٣٥ . وينظر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، ج : ٦ ، ص : ١٩٣ – ٢٠١ .

[١] ينظر : درء تعارض العقل والنقل , أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، ج : ٥ ، ص : ١٧٨ .

[٢] سورة : الشورى , الآية : ١١ .

[٣] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى , أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي , ص : ١٠٤ .

[٤] مقدمة في علم الكلام الجديد ، د . عبد الجبار الرفاعي ، ص : ١٨٠ .

[٥] ينظر : مقدمة في علم الكلام الجديد ، د. عبد الجبار الرفاعي , ص : ٨٨ , ص : ١٩٠ .

إن ما يمكن أخذه من المآخذ في تسميةِ الله تعالى بالمطلق , وإطلاقِ تسمية المطلق عليه هو نفي صفاته تعالى بحجة أنه تعالى : **سمح** لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ **سجى** [١] , وهو ما قالت به القرامطة [٢] , وذهب إليه الجهم بن صفوان دفعاً للتشبيه ؛ حيث ورد عنه أنه كان لا يسمي الله شيئاً لأن ذلك بزعمه يقتضي التشبيه , وُردَّ عليه بأنَّه تعالى : " ليس كمثله شيء بوجه من الوجوه ؛ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله " [٣] , وأنه كما لا يجوز تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه ، كذلك لا يجوز نفي الصفات التي وصف الله بها نفسه [٤] , " بل هو سبحانه في كُلِ ما هو موصوف به مختص بما لا يماثله فيه غيره " [٥], وأن عدم تسميته لله تعالى شيئاً يقتضي أنه تعالى ليس بموجودٍ ، ولا حي ولا عليم عليم ولا قدير ، ويقتضي إبطال جميع أسمائه الحسنى [٦] .

نستنتج مما سَلف ذِكرُه أن الخلاف في جواز تسمية الله تعالى بالمطلق وعدم جواز إطلاق هذه التسمية عليه هو خلاف اصطلاحي لا مقصدي [٧] , إذ قصد المجيزون التنزيه ودفع التشبيه , ورفضه ورفضه المعارضون خشية أن يفضي إلى إبطال أسماء الله الحسنى ونفي صفاته , وأما في بيان

---

[١] سورة : الشورى , الآية : ١١ .

[٢] **القرامطة** : نسبة إلى رجل يُقَال لَهُ : (حمدَان قرمط) أو : (حمدان بن الأشعث) , وهو من خوزستان في الأهواز , ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه , والقرامطة حركة باطنية تنتسب إليه . ينظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة , الندوة العالمية للشباب الإسلامي , ج : ١ , ص : ٣٧٨ . الرد على الشاذلي في حزبيه ، وما صنفه في آداب الطريق , أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام , ج : ١ , ص : ٩٨ . ينظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ، ص : ٢٦٦ – ٢٦٧ .

[٣] المفيد في مهمات التوحيد , د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي , ص : ٥٨ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه ، ص : ٥٨ .

[٥] درء تعارض العقل والنقل : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام , ج : ٥ , ص : ١٨٣ , ص : ١٧٨ .

[٦] ينظر : المصدر نفسه , ج : ٥ , ص : ١٨٣ .

[٧] **الخلاف الاصطلاحي لا مقصدي** : أعني به الخلاف اللفظي الذي قيل في تعريفه : " الاختلاف في اللفظ والعبارة والاصطلاح مع الاتفاق على المعنى والحكم " , كما قيل في تعريفه : " ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقةِ كذلك " , مثل : " أصحاب المذهبين اتفقوا على معنى , وجاء الاختلاف في التعبير عن هذا المعنى " . أو القول : " أَن الظاهر من الخلاف في هذه المسألة – مثلا – أنه خلاف حقيقي يترتب عليه آثار ، ولكن بعد التحقق والتدبُّر والدراسة وجدنا أنه ليس بخلاف حقيقي ، بل هو خلاف عبارة واصطلاح فقط " . الخلاف اللفظي عند الأُصوليين , أ. د. عبد الكريم بن علي بن محمد النَّملة , مج : ١ , ص : ١٧ . الموافقات ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، ج : ٥ ، ص : ٢١٠ .

التفريق في صفات الأفعال الإلهية دون صفات الذات , ومنها صفة الفعل الإلهي : " الْخلق " [١] ؛ **يقول الإمام الأشعري** : " دلت الدلالة على أن الله تعالى خالق كل شيء حادث ولا يجوز أن يخلق ما لا يريده , وقد قال " [٢] : فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ [٣] ؛ إذ يتضح من ذلك أن فعل : (الخلق) مرتبط بالإرادة بالإرادة الإلهية , **وبناء على ذلك يذهب الإمام الأشعري إلى القول** : " لو كان في سلطان الله تعالى ما لا يريده لوجب أحد أمرين : إما إثبات سهو وغفلة ، أو إثبات ضعف وعجز ووهن وتقصير عن بلوغ ما يريده ، فلما لم يجز ذلك على الله تعالى استحال أن يكون في سلطانه ما لا يريده " [٤] ؛ لكون لا قانون يُلزم الله (فعل الخلق) ، ولا قاعدة تُجبره على فعل : (الخلق) ، ومنه يتبيّن أن مفهوم (المطلق) في صفات الأفعال الإلهية لا يُحمل على الفعل من حيث وقوعه وتحققه ، بل يُفهم على جهة كمال القدرة الإلهية على إيجاد تلك الأفعال دون عجز أو منع ، كما تقرره المدرسة الأشعرية في تقريرها لعموم القدرة الإلهية ، أما الأفعال ذاتها كالخلق ، فإنها لا تتصف بالإطلاق من جهة الوقوع ، بل هي متعلقة بالمشيئة الإلهية ، ومتجددة بحسب الإرادة ، فيكون الإطلاق في هذا الباب إطلاقًا في الأصل ؛ وهذا الأصل هو : (القدرة) لا في الفرع الذي هو : (الفعل) , **إذ يقول الإمام الأشعري** : " فان قال : أتقولون إن الله تعالى لم يزل قادراً ؟ قيل له : كذلك نقول , فان قال : فما الدليل على ذلك ؟ قيل له : الدليل على ذلك لو كان لم يزل غير قادر لوجب أن يكون لم يزل عاجزاً موصوفاً بضد القدرة , ولو كان عجزه قديماً لاستحال أن يقدر وأن تحدث الأفعال منه " [٥] .

---

[١] تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل , محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي , ص : ٢٩٩ .

[٢] اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، للإمام أبى الحسن الأشعري ، ص : ٤٧ .

[٣] سورة : البروج , الآية : ١٦ .

[٤] اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، للإمام أبى الحسن الأشعري , ص : ٤٧ .

[٥] المصدر نفسه , ص : ٢٥ – ٢٦ .

الخلاصة :

إن إرادة الله تعالى في أفعاله غير مقيدة بوجوب ولا امتناع , وهذا يفيد معنى من معاني الإطلاق , أما أفعاله تعالى فهي متعلقة بالمشيئة , ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : **سمح** أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا **سجى** [١] . أي : " مدَّه ما بينَ صلاةِ الصبحِ إلى طلوعِ الشمسِ " [٢] ، وقولُه : **سمح** وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا **سجى** أي : " دائمًا لا يزولُ ، ممدودًا لا تُذْهِبُه الشمسُ ولا تَنْقُصُه " [٣] .

ويعد الخلاف في جواز تسمية الله تعالى بالمطلق وعدم جواز إطلاق هذه التسمية على الله تعالى خلاف اصطلاحي لا مقصدي كما ذكرنا سابقاً , وأما عن موقفنا من استعمال مفهوم المطلق ؛ نميل إلى من أراد استعمال لفظة المطلق دفعاً للتشبيه وتنزيه الله تعالى عن الشبيه , ولا نتبنى لفظ المطلق لكَونِه ليس باسمٍ أو صفةٍ عقديةٍ ثابتةٍ للهِ تعالى ؛ وذلك لأن باب الأسماء الإلهية توقيفي وفي هذا الباب لا يُثبِت علماء العقيدة الإسلامية أي اسم لله تعالى إلا بنصٍ شرعي : (قرآنٍ أو سُنة) , ولكون لفظ : (المطلق) من المفاهيم والمصطلحات الفلسفية التي لم تثبت بنصٍ شرعي : (قرآنٍ أو سُنة) يتجنب بعض علماء العقيدة الإسلامية إطلاقه على الله , أما من ناحية استعمال لفظ (المطلق والنسبي) للتفريق بين حقيقة الذات الإلهية من حيث كون الله تعالى غير محدود , وحقيقة الإنسان لكونه نسبي محدود ، وعدم قدرة هذا النسبي المحدود على إدراك المطلق الغير محدود ؛ فهنالك من استعمله بهذا المعنى مثل : الدكتور عبد الجبار الرفاعي , وهنالك من استعمله لتنزيه الذات الإلهية عن الإحاطةِ والحدِ , والاعتراف بحدود العقل البشري وقصوره عن إدراك واجب الوجود : (الله تعالى) كالغزالي ، وكل من هذه الاستعمالات جاءت في سياق التنزيه , وعليه تظل هذه الاستعمالات مقبولة ما دامت منضبطة بأصول الاعتقاد وحدود اللغة الشرعية , **وخلاصة القول** : إن تسمية الله تعالى بالمطلق إنما يفهم في إطار التنزيه الذي يراد به نفي التقييد والحدود التي تلازم الموجودات (الحوادث) , دون تحميل لفظ : (المطلق) دلالات فلسفية مجردة تباعد بينه وبين ما هو معهود في الخطاب الشرعي ,

---

[١] سورة : الفرقان , من الآية : ٤٥ .

[٢] تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن , أبو جعفر محمد بن جرير الطبري , ج : ١٧ ، ص : ٤٦٠ .

[٣] المصدر نفسه , ج : ١٧ , ص : ٤٦٢ .

لكون إطلاق لفظ المطلق وتسمية الله تعالى به لا يُفهم على وجه الاستقلال عن الدلالة الشرعية , بل يبقى تابعاً لها ومقيداً بإطارها , صوناً للعقيدة من الانزلاق إلى تجريدات فلسفية محضة .

الخاتمة :

الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذه الدراسة التي تم الوصول من خلالها إلى ما يلي من نتائج :

١ – إنَّ مصطلح المطلق والنسبي من المفاهيم والمصطلحات الفلسفية , حيث أُطلِق لفظ المطلق لتمييز واجب الوجود : (الله) عن ممكن الوجود : (الإنسان) وذلك لكون الإنسان نسبي محدود ولا يستطيع إدراك واجب الوجود : (الله) الغير محدود .

٢ – يعتمد الدكتور عبد الجبار الرفاعي في مفهوم المطلق والنسبي المنهج الفلسفي العرفاني لتأكيده : الله مطلقٌ وفهْمُ الإنسان نسبيٌّ ، وإن الله لا محدود وفهْمُ الإنسان محدودٌ ، ولهذا تتنوع طرق الوصول إلى الله وتتعدد عند الدكتور عبد الجبار الرفاعي .

٣ – يعد الخلاف في جواز تسمية الله تعالى بالمطلق وعدم جواز إطلاق هذه التسمية عليه خلاف اصطلاحي لا مقصدي ، إذ قصد المجيزون التنزيه ودفع التشبيه , ورفضه المعارضون خشية أن يفضي إلى إبطال أسماء الله الحسنى ونفي صفاته , مما يتبين أن الخلاف دائر بين الجواز والرفض , فمن جهة الجواز أن إرادة الله تعالى في أفعاله غير مقيدة بوجوب ولا امتناع وهو ما يفيد معنى من معاني الإطلاق , ومن جهة الرفض أن أفعاله تعالى متعلقة بالمشيئة فلا يجوز حمل الإطلاق على معنى يقتضي نفي هذا التعلق .

٤ – إن تسمية الله تعالى بالمطلق إنما يفهم في إطار التنزيه الذي يراد به نفي التقييد والحدود التي تلازم الموجودات (الحوادث) , دون تحميل لفظ (المطلق) دلالات فلسفية مجردة تباعد بينه وبين ما هو معهود في الخطاب الشرعي , لكون إطلاق لفظ المطلق وتسمية الله تعالى به لا يُفهم على وجه الاستقلال عن الدلالة الشرعية , بل يبقى تابعاً لها ومقيداً بإطارها , صوناً للعقيدة من الانزلاق إلى تجريدات فلسفية محضة .

التوصيات :

١ – نوصي الباحثين بدراسة الألفاظ والمصطلحات الوافدة إلى الفكر الإسلامي ، وبيان مدى توافقها مع أصول العقيدة الإسلامية وضوابطها .

٢ – إجراء دراسات متخصصة حول حدود وإمكانية استعمال المصطلحات الفلسفية في الحديث عن الله تعالى وصفاته ، كما وإجراء دراسات مستقلة في بيان الفرق بين المصطلح الفلسفي والمصطلح العقدي وتبيين مواقف علماء العقيدة والتفسير من الألفاظ والمصطلحات الفلسفية الغير منصوص عليها شرعاً .

٣ – نعتقد من الواجب التمييز بدقة بين الخلاف الاصطلاحي والخلاف المقصدي عند دراسة الألفاظ والمصطلحات الوافدة إلى الفكر الإسلامي ، لما لذلك من دور في تقليل مساحة الخلاف والنزاع وتوضيح حقيقة المسائل العلمية ، وذلك لكون الخلاف الاصطلاحي خلاف في المصطلح نفسه دون تغيير المعنى ، أما الخلاف المقصدي فهو اختلاف في المعنى أو المقصود من المصطلح .

لائحة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

١ – أصول البحث العلمي ومناهجه , د. أحمد بدر , الناشر : المكتبة الأكاديمية , د. ط , الدوحة – قطر , ١٩٩٤م .

٢ – الأعلام , خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي (ت : ١٣٩٦ هـ) , الناشر : دار العلم للملايين , الطبعة : الخامسة عشر , بيروت : لبنان , ٢٠٠٢ م .

٣ – البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية , رجاء وحيد دويدري , الناشر: دار الفكر المعاصر , بيروت– لبنان , دار الفكر, دمشق– سورية , الطبعة : الأولى , ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م .

٤ – تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن , أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) , تحقيق : د عبد الله بن عبد المحسن التركي , الناشر : دار هجر , القاهرة – مصر , الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

٥ – تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) , محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي (ت : ٣٣٣هـ) , تحقيق : د. مجدي باسلوم , الناشر : دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

٦ – تكملة المعاجم العربية , رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت : ١٣٠٠هـ) , نقله إلى العربية وعلق عليه : محمَّد سَليم النعَيمي , الناشر: وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية , الطبعة : الأولى , ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م .

٧ – التوقيف على مهمات التعاريف , عبد الرؤوف بن المناوي (ت : ١٠٣١ هـ) , المحقق : د عبد الحميد صالح حمدان , الناشر : عالم الكتب ، القاهرة – مصر , الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٨ – الخلاف اللفظي عند الأُصوليين , أ. د. عبد الكريم بن علي بن محمد النَّملة , الناشر : مكتبة الرشد , الرياض – المملكة العربية السعودية , الطبعة : الثانية , ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٩ – درء تعارض العقل والنقل , أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت : ٧٢٨ هـ) , تحقيق : د. محمد رشاد سالم , الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية , الطبعة : الثانية ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

١٠ – الدين والظمأ الأنطولوجي , د. عبد الجبار الرفاعي , الناشر : مؤسسة هنداوي , د . ط , يورك هاوس – المملكة المتحدة بريطانيا – ٢٠٢٤م .

١١ – الدين والظمأ الأنطولوجي , د. عبد الجبار الرفاعي , الناشر مركز دراسات فلسفة الدين , بغداد – العراق , الطبعة : الثالثة , ٢٠١٨م .

١٢ – الرد على الشاذلي في حزبيه ، وما صنفه في آداب الطريق , أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت : ٧٢٨ هـ) ، تحقيق : علي بن محمد العمران , الناشر: دار عطاءات العلم , الرياض – المملكة العربية السعودية , دار ابن حزم , بيروت – لبنان , الطبعة : الثالثة ، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م .

١٣ – سير أعلام النبلاء , شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) , تحقيق : شعيب الأرنؤوط , الناشر: مؤسسة الرسالة , الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

١٤ – السيرة الفكرية للأستاذ الدكتور عبد الجبار الرفاعي , مُلَخَّص زودني به الدكتور عبد الجبار الرفاعي في : ١٦ / ٨ / ٢٠٢٥م , وهذه السيرة هي جواب لحوار مع الدكتور عبد الجبار الرفاعي ، بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٢٩م . مع العلم أن هذه السيرة غير منشورة على مواقع الأنترنت .

١٥ – شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإبجي ومعه حاشيتا السَّيالكوتي والچلبي على شرح المواقف ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦ هـ) ، الناشر : منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م .

١٦ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية , أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي , (ت : ٣٩٣هـ) , تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار , الناشر : دار العلم للملايين , بيروت – لبنان , الطبعة : الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

١٧ – طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت : ٧٧١ هـ) ، تحقيق : د . محمود محمد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر: هجر ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٣هـ .

١٨ – الفُتوحَاتُ المَكيَّة , أبي بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي (ت : ٦٣٨هـ) , الناشر : منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , د . ط , د . ت .

١٩ – الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية , أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، (ت : ٤٢٩هـ) , الناشر : دار الآفاق الجديدة , بيروت – لبنان , الطبعة : الثانية ، ١٩٧٧ م .

٢٠ – فوات الوفيات ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت : ٧٦٤هـ) ، تحقيق : إحسان عباس ، الناشر: دار صادر ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى ، د . ت .

٢١ – كتاب المقالات , د . عبدالله إبراهيم , الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر , الطبعة : الأولى , بيروت – لبنان , دار الفارس , الأردن , ٢٠٢٤م .

٢٢ – الكتابة الأكاديمية (ضوابط الأداء , إجراءآت التحسين , معايير الجودة) , د. محمود جلال الدين سليمان , الناشر : وكالة الصحافة العربية – دار الكتب المصرية , طبعة عام : ٢٠٢٣م , الجيزة – مصر .

٢٣ – الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت : ١٠٩٤هـ / ١٦٨٣م) , تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري , الناشر: مؤسسة الرسالة , بيروت – لبنان , الطبعة : الثانية , ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م .

٢٤ – لسان العرب , محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت : ٧١١هـ) , الناشر: دار صادر , بيروت – لبنان , الطبعة : الثالثة , ١٤١٤ هـ .

٢٥ – محاضرات في أصول الفقه شرح الحلقة الثانية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر, د. عبد الجبار الرفاعي , الناشر : مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، مطبعة السرور ، قم – إيران , الطبعة الثانية : ١٤٣٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

٢٦ – المختصر من علم الشافعي ومن معنى قوله , أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت : ٢٦٤ هـ) , الناشر: دار مدارج , الرياض – المملكة العربية السعودية , الطبعة : الأولى ، ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م .

٢٧ – معجم الفروق اللغوية ، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري (كان حَيًّا في : ٣٩٥ هـ) ، وجزءًا من من كتاب : (فروق اللغات) لنور الدين بن نعمة الله الجزائري (ت : ١١٥٨ هـ) , الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي , د . م ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢ هـ .

٢٨ – المعجم الفلسفي من وضع مجمع اللغة العربية ، تصدير : إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ، الناشر : دار الكتب – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، د. ط ، القاهرة – مصر ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢٩ – معجم المفسرين « من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر , عادل نويهض , الناشر : مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت – لبنان , الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

٣٠ – معجم مقاييس اللغة , أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥ هـ) , تحقيق : عبد السلام محمد هارون , الناشر: شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر , الطبعة : الثانية ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٣١ – المفردات في غريب القرآن , أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت : ٥٠٢ هـ) , تحقيق : صفوان عدنان الداودي , الناشر: دار القلم ، والدار الشامية – دمشق – سوريا , بيروت – لبنان , الطبعة : الأولى , ١٤١٢ هـ .

٣٢ – المفيد في مهمات التوحيد , د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي , الناشر : دار الاعلام , الطبعة : الأولى , ١٤٢٢هـ – ١٤٢٣هـ .

٣٣ – مقدمة في علم الكلام الجديد , د. عبد الجبار الرفاعي , الناشر : مؤسسة : هنداوي , د . ط , يورك هاوس – المملكة المتحدة بريطانيا – ٢٠٢٤م .

٣٤ – المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى , أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت : ٥٠٥ هـ) , تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي , الناشر : الجفان والجابي , قبرص , الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .

٣٥ – مناهج البحث العلمي , عبد الرحمن بدوي , الناشر : وكالة المطبوعات , الطبعة : الثالثة , الكويت , ١٩٧٧م .

٣٦ – الموافقات ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت : ٧٩٠ هـ) ، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

٣٧ – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة , الندوة العالمية للشباب الإسلامي , إشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهني , الناشر : دار الندوة العالمية , الطبعة : الرابعة ، ١٤٢٠ هـ .

٣٨ – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبد الوهاب المسيري ، الناشر : دار الشروق ، القاهرة – مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٩م .

٣٩ – موسوعة كتب علم النفس الحديث (مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث) , د. عبد الفتاح محمد العيسوي , د. عبد الرحمن محمد العيسوي , الناشر: دار الرتب الجامعية , د . ط , بيروت – لبنان , ١٩٩٦ – ١٩٩٧م .

٤٠ – المواقف في علم الكلام , عضد الله والدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي , الناشر : مكتبة الاسكندرية , عالم الكتب , بيروت – لبنان , د. ط , د. ت .

٤١ – هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين , إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلا ، البغدادي , الناشر : وكالة المعارف , إسطنبول – تركيا ، د . ط .